تجليات قيم المواطنة في سينما العشرية السوداء

قراءة تحليلية نقدية لفيلم "المحنة"

Manifestations of the Values of Citizenship in the Cinema of the Black Decade

A Critical Analysis of the Movie Al-Mihna

أسماء بوعنان [1]*، زينب خلالفة [2]

[1] جامعة أم البواقي، الجزائر، asmabouanane@gmail.com

[2] جامعة أم البواقي، الجزائر، khelalfa.zeineb@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/02/10. تاريخ القبول: 2022/05/29. تاريخ النشر: 2022/06/10

ملخص:

تعد مرحلة العشرية السوداء من أهم المراحل في تاريخ السينما الجزائرية المعاصرة التي تركت بصمتها وأثرها على الانتاج السينمائي الذي أعقب هذه السنوات، مفرزة ما اصطلح عليه "بسينما العشرية السوداء" التي صورت وعالجت واحدة من أخطر الأحداث وأكثرها تهديدا لكيان الدولة والمجتمع، بعد أن عصفت بأمن واستقرار البلاد طيلة عشرية كاملة من العنف والإرهاب، بما شكل تهديدا وخطرا فعليا على مبادئ وقيم المواطنة لدى المواطن الجزائري وخاصة فئة الشباب. ويعتبر فيلم "المحنة" لنور الدين مرزوقي من بين الأفلام التي ميزت مرحلة العشرية السوداء، وتناول مسألة المواطنة من خلال معالجته لقضية الإرهاب ولواحدة من أكثر المجازر دموية ووحشية بولاية تيارت شتاء العام1998. وقد بينت الدراسة أن الفيلم تضمن دعوة للشباب الجزائري للتمسك بقيم المواطنة وتعزيزها في بعديها الاجتماعي والثقافي، في مناخ سيطر عليه الخوف والشك واليأس، وحتى الرغبة في التخلي عن الحياة، وعن كل الحقوق والواجبات اتجاه الذات واتجاه الوطن. كما أبان تحليل الفيلم عن الدور الهام والفاعل لسينما العشرية السوداء في تشكيل وترسيخ ثقافة المواطنة، والتأكيد على دور هذا النوع من الأفلام في نشر الوعي بقضايا المواطنة والوطن في الماضي والحاضر وأيضا المستقبل.

كلمات مفتاحية: القيم، المواطنة، السينما، الفيلم، العشرية السوداء.

Abstract:

The Black Decade is considered one of the most important stages in the history of contemporary Algerian cinema which impacted the cinematic production that followed these years and yielded the term 'Black Decade Cinema'. The later

portrayed one of the most dangerous events and most threatening to both the government entity and the society that destroyed the Country's security and stability for a whole decade of violence and terrorism, what constituted a real threat and danger to the principles and values of citizenship for the Algerian citizen, especially youth. The movie "El Mehna" by Noureddine Marzouki is among the movies that marked the black decade. It dealt with the concept of citizenship through terrorism and one of the bloodiest and brutal massacres in the state of Tiaret in the winter of 1998. The study showed that the film included an invitation to the Algerian youth to adhere to the values of citizenship and enhance them in their social and cultural dimensions in an atmosphere dominated by fear, doubt and despair, and even the desire to abandon life, and all rights and duties towards the self and towards the homeland. The movie's analysis also showed the important and effective role of the black decade cinema in shaping and consolidating the culture of citizenship, and emphasizing the role of this type of movies in spreading awareness of citizenship and homeland in the past, present and also the future.

Keywords: values; citizenship;cinema; movie; black decade.

✵ **المؤلف المرسل: أسماء بوعنان** **الإيمايل:** asmabouanane@gmail.com

مقدمـة:

تشغل قضية المواطنة حيزا كبيرا من اهتمام الدول والمجتمعات التي سعت دوما إلى تكريس قيمها والحفاظ عليها باعتبارها المجال الذي يتجسد فيه الحضور المادي والوجداني للفرد داخل الدولة والمجتمع، ويستلزم هذا الحضور جملة من المتطلبات يتقدمها الحق في حياة آمنة ومستقرة، والتي يهدد عدم توفرها تراجع أو حتى تلاشي الإحساس بقيم المواطنة، ما يدفع الدول لتجنيد مختلف مؤسساتها من أجل تكريس مبادئ المواطنة والحفاظ عليها.

كما تعد المواطنة من القضايا التي أثارت اهتمام المجتمعات على مر العصور باعتبارها واحدة من الدعائم الأساسية المحددة لطبيعة العلاقة بين الدولة والمواطن وعلاقة المواطنين ببعضهم ببعض، وذلك في مختلف أبعادها(السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والحضارية...الخ).وتتجلى المواطنة بشقيها المادي والوجداني في مختلف مناحي أنشطتنا اليومية في إطارها الرسمي وغير الرسمي، الإلزامي والتطوعي أو بشكل مباشر أو غير مباشر، وفي مختلف الظروف والتغيرات التي تعرفها المجتمعات.

والجزائر كغيرها من الدول عرفت العديد من التحولات المجتمعية بفعل العديد من الأحداث لايزال أكثرها تأثيرا في تاريخ البلاد المعاصر الأزمة السياسة والأمنية التي عصفت بالبلاد وأدخلتها في دوامة العنف والإرهاب طيلة عشرية كاملة(1992-2002)عرفت **بالعشرية السوداء**. وقد شهدت هذه المرحلة حالة من الفوضى والانهيار المجتمعي والمؤسساتي، أفرزت العديد من المشاكل السياسية، الاقتصادية والاجتماعية وحتى النفسية أوجدت بدورها شرخا وأزمة ثقة حادة بين المواطنين ومؤسسات الدولة، ونخرت الفرد والدولة والمجتمع، ووضعت قيم المواطنة لدى الجزائري أمام تحد وتهديد غير مسبوق، بعد أن ضربت الوطن في وحدته وهويته، إلى درجة المساس بحب الوطن وبقيم الولاء والانتماء إليه.

وفي ظل هذه الظروف والمتغيرات التي غابت فيها أدنى مقومات المواطنة، وفي دولة حديثة العهد بالتجربة الديمقراطية والمفاهيم المرتبطة بها، أضحى الاهتمام بقيم المواطنة وزيادة الوعي بها على المستوى الفكري ضرورة ملحة، وممارستها واقعيا من أولى الأولويات، انطلاقا من كون قيم المواطنة تعد الضامن الرئيس والحصن المتين للحفاظ على وحدة وأمن واستقرار البلاد وتماسك المجتمع، والسير قدما في مخططات التنمية وإعادة النهوض بالبلاد، لا سيما وأن الأحداث تركت تداعيات وآثارا عميقة على كل مناحي الحياة، لايزال بعضها مستمرا حتى الوقت الحالي.

ولم يكن المجال الثقافي والفني في البلاد بمنأى عن تداعيات هذه الأحداث بشكل عام والإنتاج السينمائي بشكل خاص متأثرا ومؤثرا باعتبار السينما مؤسسة اجتماعية لا يقل دورها أهمية عن بقية مؤسسات التنشئة في المجتمع. فلطالما واكب الانتاج السينمائي الجزائري التحولات الكبرى في المجتمع ومختلف القضايا التي تبرز مصاحبة لهذه التحولات، فأفرز سينما الثورة، سينما المرأة، سينما المهجر وما اصطلح على تسميته **بسينما العشرية السوداء** التي تأسست بانخراط مجموعة من المخرجين والمنتجين في المعالجة السينمائية لقضايا الإرهاب، وأنتجت العديد من الأفلام التي تناولت القصص الوحشية والدموية التي حاول السينمائيون الجزائريون من خلالها كشف فظاعة ما تعرض له الشعب الجزائري من ويلات الإرهاب وما صاحبه من معاناة شاملة لمختلف مجالات حياة المواطن الجزائري في تلك المرحلة.

وقد نقلت **سينما العشرية السوداء** صور الدم والقتل والخراب والدمار التي خلفت حالة من الخوف وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي وحتى النفسي للمواطن الجزائري، والشعور بعدم الأمان وعدم الثقة والتخلي الطوعي والقسري عن كافة الحقوق والواجبات، صاحبها الرغبة في الموت والالتحاق بمن كانوا ضحايا المجازر الإرهابية الوحشية من الأهل والأحباب، في مقابل من كانوا يعملون على إعادة بعث الرغبة في الحياة من وسط ركام الموت. ومن هنا بات من الضروري البحث في طبيعة قيم المواطنة لدى المواطن الجزائري في هذه الفترة الحساسة وتمثلها سينمائيا.

وهذا ما سنعالجه في هذا المقال، الذي هدف إلى التعرف على قيم المواطنة في الفيلم الاجتماعي التراجيدي "المحنة" للمخرج "**زروقي نورالدين**"* والذي تضمن لقطات تراجيدية قوية من قصة مستوحاة من الواقع*، صورت معاناة حقيقية لأسرة من تيارت تسبب فيها "الإرهاب الأعمى". وهذا من خلال طرح الأسئلة : كيف تمثلت قيم المواطنة في فيلم "المحنة"؟ ما خصوصية اللغة السينماتوغرافية التي استعملها الفيلم للتعبير عن هذه القيم؟ معتمدين في ذلك على قراءة نقدية تحليلية لمشاهد ولقطات الفيلم، لاستخراج المعاني والدلالات الواضحة والضمنية، للتعبير وإيصال المعنى.

1 المواطنة مفهومها، أبعادها وحقوقها

1.1 المفهوم:

لغة:

في لسان العرب لابن منظور: الوطن هو المنزل الذي تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان. وأوطان الغنم والبقر: مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها، ووَطن بالمكان وأوطن أقام،...وأوطنه اتخذه وطنا. (دويه،2013 ، الصفحات 71- 72)

اصطلاحا:

عرف **مارشال T-H-Marshal** المواطنة بأنها "المكانة التي تيسر الحصول على الحقوق والقوى المرتبطة بها، والتي تحدد الحقوق المدنية، والحقوق السياسية التي تشمل الحق في التصويت والحق في الانضمام إلى أي تنظيمات سياسية مشروعة والحقوق الاجتماعية والاقتصادية...الخ".

ورغم أن مفهوم المواطنة لم يهتم بدراسته في الفكر العربي إلا حديثا، إلا أن هناك عدة محاولات لتشخيص مفهوم هذا المصطلح، حيث عرف "جمال الدين إبراهيم محمود" المواطنة بانها "مجموعة القيم والمبادئ والاتجاهات التي تؤثر في شخصية الفرد فتجعله إيجابيا يدرك ماله من حقوق وما عليه من واجبات في الوطن الذي يعيش فيه، وقادرا على التفكير السليم في المواقف المختلفة". (لادمي،2019 ، الصفحات 81- 82)

ويمكن القول أن مفهوم المواطنة يؤكد على:

1- المواطنة هي شعور وإحساس قيمي جمعي.

2- أنها تظهر وجود علاقة بين طرفين(الفرد/ مجتمع- دولة) وبأكثر من نسق.

3- أنها تتمثل داخل حيز جغرافي محدد وهو الوطن.

4- أن هناك تفاوت بين الأفراد بالإحساس بهذه العلاقة، وأن هذا التفاوت مصدره اختلافات وتباينات قيمية داخل الجماعة.

5- أن هناك حقوق أصلية (طبيعية) لا يمكن التخلي عنها لارتباطها بإنسانية الأفراد، إلى جانب وجود حقوق مكتسبة معنية بالمواطنة (مدنية وسياسية). (أدهم، دس، الصفحات 3-4)

2.1 أبعاد المواطنة:

للمواطنة عدة أبعاد يمكن إجمالها في الآتي:

– **البعد السياسي:** ويقترن بمدى انتماء الفرد إلى الوطن ككيان سياسي في دولة القانون والمؤسسات ومنظمات المجتمع المدني، وما ينبثق عن تلك الرابطة من حقوق متعلقة بالممارسة السياسية كحق الترشح وتولي المناصب في الدولة، حق الانتخاب وحرية الرأي والتعبير...الخ

– **البعد القانوني:** مفهوم المواطنة في بعدها القانوني مرتبط أساسا بما يقرره القانون من حقوق والتزامات على عاتق المواطنين وهي نتاج العقد الذي يربط المواطن بكيان الدولة القانوني، وينصرف هذا البعد بصورة واضحة المعالم في القوانين الأساسية كالدساتير وما تحمله من تأكيد على الالتزام بأداء الواجبات وما تقره من حماية قانونية للحقوق والحريات العامة.

– **البعد الاقتصادي والاجتماعي:** إن المواطنة في البعد الاقتصادي للمفهوم ينم عن مدى توفر شروط الحياة الكريمة، أما في بعده الاجتماعي فيعتبر المواطنة سلوكا اجتماعيا أساسه النظرة إلى المواطنين بصفتهم قوة اجتماعية يشاركون في الحياة العامة للدولة، والتي تعبر عن حيوية المجتمع ووعيه التام بمحيطه الاجتماعي. (زعبي، 2020، الصفحات 38– 39)

3.1 حقوق المواطنة:

حقوق تخص جميع المواطنين الحاملين لجنسية الدولة التي ينتمون إليها سواء كانت أصلية أو مكتسبة. فالمواطن يجب أن يتمتع بكافة حقوقه الأساسية بالإضافة إلى حقوق المواطنة وفيما يلي بعضها:

– **حقوق المواطنة المدنية:** وتتضمن حق المواطن في الحياة، عدم إخضاعه للتعذيب، الإحاطة بالكرامة، ضمان الحرية لكل مواطن طالما لا تخالف ولا تتعارض مع القوانين، الحق في الأمن، الحق في الملكية، الحق في حرية التنقل داخل تراب الوطن، حرية الإقامة داخل الوطن، حرية المغادرة والعودة إلى الوطن، المساواة أمام القانون والقضاء حرية الفكر والدين...إلخ

– **حقوق المواطنة السياسية:** تشمل حرية الترشح للانتخابات، حق العضوية في الأحزاب السياسية، الحق في تقلد المناصب السياسية، حق التعبير عن الرأي أو الموقف السياسي، الحق في إنشاء أو الانضمام إلى الجمعيات والحركات ذات الطابع السياسي، الحق في المعارضة بالطرق السلمية المتاحة.

– **حقوق المواطنة الاجتماعية:** وتشمل الحق في التعليم، الحق في الخدمات الصحية، الحق في الحماية الاجتماعية، الحق في المسكن، الحق في المساعدة الاجتماعية.

- **حقوق المواطنة الاقتصادية:** وهي تضم حق الملكية الفردية، حق التصرف في الأملاك الخاصة، الحق في العمل في ظروف ملائمة وصحية، الحرية النقابية، الحق في الاضراب، الحق في الترقية، الحق في أجر عادل ومنصف.

2. قيم المواطنة:

تعرف القيم بأنها "مجموعة من المقاييس التي تجعل فردا ما أو جماعة يصدر حكما نحو موضوع معين أو شيء ما بأنه مرغوب أو غير مرغوب فيه، وذلك في ضوء تقدير الفرد أو الجماعة لهذه الأشياء أو الموضوعات، وفق ما يتلقاه من معارف وخبرات ومبادئ وما يؤمن به من مثل في الإطار الذي تعيش فيه الجماعة". (لادمي،2019 ، صفحة 87)

والمواطنة ممارسة تحت مجموعة من القيم والأسس في إطار المؤسسات، وقد أشار "منير عبد القادر "أن هذه المقومات تختلف من دولة إلى أخرى وهذا لاختلاف الثقافة والحضارة.(مهنة،2020، صفحة 384)، وكذا اختلاف الظروف والتغيرات المجتمعية، وهي تشمل بشكل عام تتمثل في: المساواة وتكافؤ الفرص، قيم الحرية، حب الوطن والولاء والانتماء، الالتزام والمسؤولية، العدالة، المشاركة في الحياة العامة والمشاركة المجتمعية...إلخ وستتناول الباحثتان ما ورد من بين هذه القيم في الفيلم محل الدراسة.

3. سينما العشرية السوداء

وصلت السينما إلى الجزائر كفن خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وهو ما ترك أثرا لم تزله السنوات من على الأفلام الجزائرية، انعكس ذلك من خلال الحضور الدائم والمتكرر لمواضيع الثورة، والاستعمار، والاستقلال...حيث تأثرت السينما بالأحداث التاريخية، والتغييرات الاجتماعية، والتطورات السياسية وأيضا الثقافية، والتي شكلت مواضيعا لأفلامها. (سعاد، 2018، صفحة 455)

وتميزت السينما في الجزائر من حيث الولادة والهدف والمسار عن جميع تجارب السينما في الوطن العربي، ومن خلال هذا التميز كانت تتخذ دائماً مكانة القدوة.(الكسان، 1982، صفحة 215)، ويمكن اعتبار سنوات السبعينيات بمثابة "سنوات الخصوبة حيث انتجت خلالها 40 فيلما وعرفت بروز 21 سينمائيا". يقول الناقد السينمائي المغربي"أحمد بوغابة": لقد كانت السينما الجزائرية خلال سنوات الستينات والسبعينات الأولى في الوطن العربي، ولازال العالم العربي يذكر أول فيلم سينمائي فاز بجائزة لجنة التحكيم في مهرجان "كان" وهو فيلم"ريح الأوراس" لمحمد لخضر حمينة والذي حاز على جائزة (السعفة الذهبية) سنة 1975 بفيلم "وقائع سنوات الجمر". (نايلي،2012 ، صفحة 154)

ومنذ أحداث أكتوبر نهاية الثمانينيات دخلت السينما مجال المعترك السياسي وتناول القضايا السياسية التي لاقت تركيزا أكبر مع الأزمة الأمنية والسياسية التي عصفت بالبلاد، وهددت جديا الإنتاج السينمائي الجزائري، مما أثر سلبا على هذا القطاع".(منصور،2012 ، صفحة 73) ومع نهاية التسعينيات وبعد الأحداث الدموية التي عرفتها البلاد، عادت السينما الجزائرية لتسجل نقلة نوعية من خلال إعادة إنتاج العشرية السوداء وقضايا الإرهاب سينمائيا.

ويمكن القول أن تسمية "**سينما العشرية السوداء** "تعبر عن مجموعة الأفلام الجزائرية التي أعادت إنتاج الألم سينمائيا، مستحضرة سنوات الدم والدمار التي عرفتها البلاد، وعاش خلالها المجتمع الجزائري كل أنواع المآسي، من قتل وفقد واختطاف، إضافة إلى أحاسيس الفزع الدائم، وعدم الثقة في أقرب الناس، والسقوط في شرك خوفين: خوف من نظام يبطش بمجرد الشك، وخوف من جماعات مسلحة تذبح لمجرد التخويف، وانعكس هذا على صناع السينما الذين عاشوا تلك الفترة، وتأثروا بها بشكل أو بآخر. فحاول غالبيتهم نقل ولو جزء يسير من تلك المشاهد المفزعة". (قادري، 2014)

وكان من بين هؤلاء المخرج "**زروقي نورالدين**" الذي كان دافعه الأول لمعالجة موضوع ضحايا الإرهاب:" أنني اعتبر نفسي من الفئة التي عايشت هذه المأساة بكل تفاصيلها، وكنت شاهد عيان على الكثير من الأحداث...مما يؤهلني لاستشعار الأخطار المحيطة، والبيت معرض للتفتيش دوريا من طرف رجال الأمن في ساعات متأخرة من الليل وغيرها من أشكال الارهاق النفسي، فرأيت أنه من المناسب التأريخ لهذه الحقبة الزمنية من تاريخ الجزائر." (زروقي ن، 2022)

وقد تميزت سينما التسعينات بإدانتها لأعمال العنف من خلال تصوير الظاهرة إما بصورة رمزية أو بصورة مباشرة رغم صعوبة مزاولة أي نشاط سينمائي أو فني. (إرشن،2022 ، صفحة 270)، واختارت بعض الأسماء السينمائية الجزائرية الصمود ورفع التحدي وانجاز أعمال مميزة خلدت تلك المرحلة بكل ضبابيتها ودمويتها...فأنتج "إبراهيم تاسكي" أطفال النيون وأخرج "محمد زموري" أضواء 1992، وقدم "عبد الكريم بهلول" فيلمه "ليلة القدر". (نصيرة، 2022، صفحة 40)، وكان المخرج الجزائري المغترب "مرزاق علواش" أول من تناول جزائر الإرهاب من خلال عملين بارزين هما "العالم الآخر" و"باب الواد سيتي"، كما تناول "نذير مخناش" الأزمة من خلال فيلمه " viva l'Algérie"، وفيلم "شاي آنيا" لمخرجه "السعيد ولد خليفة."(جوباني، 2009، صفحة 142) ومع بداية الألفية أقر مخطط الانعاش الاقتصادي واقعا ثقافيا وسينمائيا جديدا تمثلت معالمه في تمويل الانتاج السينمائي ولو في المناسبات الكبرى كتظاهرة

الجزائر2000، وتظاهرة سنة الجزائر بفرنسا 2003، وتظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007. (ساكر وصبيات، 2022، الصفحة 42)، واستمر حضور موضوع الإرهاب في العديد من أفلام الألفية، ولازالت أحداث العشرية السوداء إلى غاية سنة 2016 محور السينما الجزائرية، مثل فيلم "ذاكرة الأحداث" الذي أراد مخرجه "عبد الرحيم العلوي" ولأول مرة في السينما الجزائرية أن يطرق بابا من أبواب التجاوزات الإرهابية التي سلطت على أسرة الفن الرابع في الجزائر. (قادري،2014)

من خلال ما سبق يتبين أن **سينما العشرية السوداء** غنية بأفلامها ومخرجيها الذين أبدعوا وتفننوا في التعبير عن هذه الفترة بكل آلامها وقضاياها، ومن بين هذه الأفلام فيلم "**المحنة**" الذي يعالج تجربة قاسية لعائلة جزائرية كانت ضحية للإرهاب وحصل ذلك في العام 1998 بين ولاية تيارت ووهران. (Cheurfi, 2013, p. 255)، وهي الزاوية التي أراد مخرج الفيلم التركيز عليها انطلاقا من نظرته أن "الكثير من الناس عند سماعهم مصطلح ضحايا الإرهاب يتبادر إلى أذهانهم الأشخاص الذين قتلوا خلال هذه المأساة، والحقيقة التي أردت أن أبينها من خلال فيلم المحنة أن الضحايا الحقيقيون هم من فقدوا أشخاصا ونجوا من الموت". (زروقي ن، 2022)

4. قراءة تحليلية لفيلم "المحنة"

1.4 بطاقة تقنية للفيلم:

المدة الزمنية للعرض: ساعة واحدة وثمانية وأربعون دقيقة.

عدد اللقطات: 63 لقطة

إنتاج: سينما الشباب للإنتاج السمعي البصري(2007)

إخراج: زروقي نورالدين. **سيناريو:** زروقي عبد الحليم

بطولة : عبد المالك قداوي(خالد) ، جمال عروسي(أب خالد)، حمزة فغولي(حكيم)، فتيحة وراد(أحلام).

2.4 ملخص الفيلم:

ارتأت الباحثتان إدراج سرد المخرج للأحداث الواقعية التي كانت دافعا أساسيا استلهم منها فكرة الفيلم†، ونراها عاملا مهما مكن المخرج في العبور من الواقع إلى المتخيل، والتعبير تعبيرا صادقا عن الواقع من خلال النجاح في توظيف الصورة واللغة السينمائية بإخراج عمل سينمائي متكامل، نجاح تجسد

في الإشادة التي حظي بها الفيلم في مختلف دور العرض السينمائي والانطباعات الإيجابية المسجلة لدى الجماهير والنقاد حسب اطلاعنا على عدد من المقالات الصحفية‡، وبحصول فيلم المحنة على جائزة أحسن فيلم من قبل وزارة الثقافة بمناسبة بانوراما السينما لتظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

ويروي فيلم "المحنة مأساة "خالد"، الشاب الذي يعشق الموسيقى وتحديدا آلة العود، هو تلميذ يدرس بالسنة الثالثة ثانوي يحضر لاجتياز امتحان البكالوريا. "خالد" يقطن قرية بمدينة تيارت، تحت سطوة الإرهاب، حال كل مدن وقرى الجزائر إبان التسعينيات. تتعرض عائلة "خالد" للاغتيال ذبحا على يد جماعة إرهابية تهاجم القرية في إحدى الليالي، إنها ليلة زفاف "جمال" صديق "خالد"، الذي للعزف له ليلة زفافه، وبعد عودته من حفل الزفاف يقف "خالد" على مشهد مأساوي مروع ببيته، بعد أن يجد كل أفراد عائلته غارقين في دمائهم فيسقط مغشيا عليه، ليستفيق على سرير المستشفى، حيث يرقد على كابوس صور أفراد أسرته مخضبين بدمائهم، يهرع مسرعا إلى الغابة بحثا عن الإرهابيين لكي ينتقم منهم. وهناك يشهد "خالد" اغتيال أحد أفراد الجماعة الإرهابية على يد رفاقه بعد اتهامهم له بالخيانة، وبمجرد مغادرة الجماعة ينهال على الإرهابي ضربا وشتما، يشعر بالبرد فيأخذ معطفه ويلبسه وكذلك حذاءه. يغادر "خالد" الغابة متوجها نحو القرية وهنالك يصادف دورية للدرك الوطني تلقي عليه القبض، وتقتاده للتحقيق معه بقسوة على يد قائد فرقة الدرك الوطني "حكيم". بعد التحقيق يصل هذا الأخير للحقيقة ويتعرف على قصة "خالد" التي تشبه إلى حد بعيد قصته، فقد كان هو الآخر ضحية للإرهاب، ويقرر حكيم **القائد الدركي** التكفل بخالد **المواطن**، يصحبه معه لوهران ليقيم في بيته، وهناك يساعده على اجتياز الأزمة، ويقنعه بالعودة للدراسة. بوهران يتعرف "خالد" على الفنانة "أحلام" ويكون معها صداقة، يساعدها في حفلتها بالعزف على آلة العود. لعدها يودع "خالد" أحلام ويعود لتيارت لاجتياز امتحان البكالوريا، الذي ينجح فيه لأنه شكل بالنسبة إليه تحد، يتغلب من خلاله على الإرهاب. في نهاية الفيلم تفاجئ "أحلام" "خالد" ببقاء أخته "أمال" على قيد الحياة، فتعود الحياة لـ"خالد" الذي يسعى للمستقبل وكله تفاؤل وأمل بغد أفضل.

3.4 قيم المواطنة في الفيلم:

رغم كون قصة الفيلم تدور بالأساس حول ضحايا الإرهاب ومآسيهم، والتي جاءت هنا مجسدة في قصة "خالد" وما حل بعائلته، إلا أن الفيلم تضمن العديد من القيم الإنسانية والاجتماعية، وحتى السياسية. وبما أن السينما فضاء الدلالات ونسق للتعبير عنها، فإن هذا النسق يحمل العديد من الدلالات والمعاني، وما على الناقد أو الباحث سوى الغوص والإبحار فيه، حتى يستشف الواضحة (التعيينية) والمضمرة،

(التضمينية) منها. وبما أن فعل التلقي يجعل من السينما رسالة يتلقاها الفرد ويضفي على معانيها ما يناسب تكوينه وإدراكه وفهمه للأشياء، فإنه يمكن القول أن فيلم "المحنة" نسق خصب لاستشفاف واستشعار قيم المواطنة. وعليه سنحاول تقديم هذه الأخيرة كما وردت في الأدبيات، ثم نسقطها بدلالاتها ومعانيها وفق ما صوره فيلم "المحنة" كالآتي:

1- **قيمة الحرية:** تعني تهيئة الظروف المواتية لكل فرد، ليعبر عن طبيعته وعن كيانه، وعن وجوده في نوع العمل الذي يؤديه، وهي القدرة على اختيار ما نريد، وفي الوقت نفسه التمتع بقدرة مماثلة على عدم اختيار ما لا نريد، فالحرية هي القدرة على الاختيار بين عدة أشياء كحرية التصرف والعيش والسلوك دون الاضرار بالآخرين ودون الخضوع لأي ضغط إلا ما فرضته القوانين العادلة الضرورية وواجبات الحياة الاجتماعية. (لادمي، 2019، صفحة 88) وتجسدت في الفيلم في أكثر من مشهد:

***مشهد زفاف "جمال" صديق "خالد"**: يبدأ في الدقيقة الـ20 و15ثا، واستعرض فيه المخرج طريقة إحياء سهرات الأعراس في نواحي تيارت في تلك الحقبة وكيفية تعاملهم مع التهديدات الإرهابية المباشرة. ويركز المخرج في اللقطة الأولى على صديقي "خالد" وهما يطلقان العنان لنفسيهما بالرقص وبيدهما قارورتا خمر، وبالرغم من حظر المجتمع للخمر والمخدرات واستنكارهما، إلا أن هناك حرية في استهلاكها وفي فضاء عام، هو ما عبر عنه مخرج الفيلم بحالة من "اللامبالاة بالإرهاب ومحاولة التعايش مع الواقع والهروب إلى المخدرات والمسكرات لنسيان هذا الواقع. (زروقي ن، 2022)

المصدر https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

كما استشعرت الباحثتان دلالات قيمة الحرية، في هذا المشهد من خلال لباس أصدقاء خالد وقصة شعريهما، ومجيئ خالد للعزف رغم تذكير والده في مشهد سابق بخطورة ذلك "الخطرة لفاتت سلكت منهم بشعرة"، وهذا ما جعل صديق "جمال" يقيم الحفل في محل مغلق، ثم يوقفه ويطفأ الأضواء بمجرد سماع صوت الرصاص، ومرور الإرهابيين بمحاذاة نافذة المحل، ما أثار فزعا ورعبا كبيرا لدى الجميع إلى حد بكاء أحد أصدقاء "خالد" الذي كان ينتشي رقصا وفرحا، كما تبينه اللقطة في الدقيقة الـ22 و20ثا.

ويظهر المشهد الحضور وهم يستمتعون بين الرقص والغناء مع الفرقة واستنشاق مواد مخدرة، ويظهر "خالد" يعزف على العود مستمتعا بممارسة هوايته رغم الخوف والفزع والترقب، هي صور تعبر عن مظاهر الفرح وضمنيا تستنطق إصرار الجميع على عيش حريتهم وتهيئة الأجواء المناسبة، ورفضا وتمردا على تهديدات وطغيان الجماعات الإرهابية التي قيدت حريتهم وصادرت حقهم في حياة آمنة وحرمتهم من أبسط حقوق يفترض أن يتمتع بها أي شاب عشريني في تلك الفترة من عمره، كالسهر والسفر وفرص العمل والدراسة...الخ" كما عبر عن ذلك مخرج الفيلم.

* **مشهد معرض الفنون الجميلة "لأحلام"**: يبدأ في 1ساو4 د و5ثا، من زمن الفيلم بدخول "خالد" إلى معرض يضم مجموعة من اللوحات الفنية والمنحوتات بمدينة وهران حيث يتعرف على صاحبة المعرض، إنها "أحلام" امرأة تبدو في العقد الرابع من العمر جميلة متبرجة تقف في بهو المعرض مع مجموعة من الزوار (رجال) يتبادلون أطراف الحديث، جاء المشهد متضمنا عديد المعاني الصريحة والرمزية التي حملت قيمة الحرية تجسدت في: تنظيم معرض فني من قبل مرأة متبرجة تخالط الرجال، تتعامل معهم في فضاء عام. ما يعتبر في تلك الفترة ذريعة كافية للبطش بها وجميع الحاضرين من قبل الجماعات الإرهابية.

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

فالمشهد يستنبط رغبة وإرادة لدى هذه المرأة للتعبير عن مكنوناتها وقناعاتها بكل حرية، لم تخف ولم تتوارى ولم ترض الخضوع للضغوط والقيود التي حاول الإرهابيون فرضها، تحدت الإرهاب "أحلام" بشجاعتها وبفنها، إنه الوطن الذي يكفل لها ممارسة حريتها كامرأة مبدعة في فن النحت، ويظهر إبداعها من خلال القطعة الفنية التي حملها "خالد" لإعجابه بها. تبين القطعة صرخة أحدهم، إنها قمة الرمزية في الفيلم؛ فالذي يصرخ في المنحوتة يمكن أن يكون الوطن أو الفنان أو "خالد" أو أي جزائري يرفض القمع والهمجية، يرفض التعدي على حقه في الحياة من قبل أعداء الحياة.

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

***مشهد العزف والغناء بالمسرح:** يبدأ في1 ساو25دو49 ثا. يصور المسرح الذي جاءت "أحلام" وغيرها للغناء به في إطار مسابقة، حيث أبدع "خالد" بالعزف على العود، و"أحلام" التي راحت تنشد أغنية من التراث الجزائري بإحساس مفعم بالفخر والحب. تشير الدلالات الضمنية للمشهد عن رغبة منظمي

المسابقة، "خالد" و"أحلام" والفرقة الموسيقية، والمشاركين في التعبير بكل حرية عن شغفهم بالفن، وأيضا عن رغبة الجمهور الحاضر بقوة للمسرح من عشاق الفن في تلقي ما يريد في أي وقت وفي أي ظرف.

كما تضمن المشهد تعبيرا صريحا عن الحرية كقيمة تكفل لكل فرد في الفضاء العمومي حق التعبير عن آرائه والمناقشة مع الآخرين حول مختلف القضايا والهموم المشتركة، وحرية التأييد أو المعارضة لإجراءات ما أو موقف ما وقد تجسدت–رغم حساسية وخطورة الظرف– في حالة النقاش الذي أثاره أحد الحاضرين باعتراضه بشدة وبحدة على كلام المنشط بحاجة الناس لمثل هذه الفعاليات الثقافية، في الوقت الذي يعانيه المواطن وأمثاله من بطش الإرهاب، وتوسع النقاش بين من أراد اسكات الرجل وبين من راح يدعوا بصوت مرتفع يعبر عن رأيه قائلا: "خليه يهدر..خليه يهدر اسيدي... راهو حر ومستقل خليه يهدر راهو حر يهدر..إلا مهدرش اليوم وكتاه يهدر...راهو حر ومستقل".

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

وهذا المشهد في حقيقة الأمر هجين نتمثل فيه أيضا قيم المشاركة في الحياة العامة لاسيما في المجال الثقافي، بما يتيح حرية الإبداع الفني والفكري وحرية النشاط الثقافي والاجتماعي.(مهنة، 2020، صفحة 384) أو ما وصفه مخرج الفيلم بصورة من صور التكافل الفني...وجميل سترده "أحلام" لخالد فيما بعد.

ومرة أخرى في هذا المشهد يوظف مخرج الفيلم "نورالدين زروقي" الرمزية التي كانت حاضرة في العلم الوطني –رمز السيادة– في مقدمة منصة المسرح، وهذا يظهر بعدا آخر للمواطنة يتجسد في العلاقة المعنوية والعاطفية التي تربط المواطن بالوطن، وتحدد مضمون ومرجعية الولاء الذي يقدمه لمعطياته ورموزه مثل رموز الهوية والانتماء.(دويه،2013، صفحة75)

كما نقف على عديد المعاني الرمزية في كلمات الأغنية التي اختارها المخرج، وهي للشهيد "علي معاشي" الذي يعتبر يوم وفاته "اليوم الوطني للفنان" وهو من مدينة تيارت مسقط رأس "خالد"، وكلمات الأغنية تصب في نفس موضوع الفيلم. (زروقي ن، 2022)

تقول كلمات الأغنية التي شاركت بها أحلام في المسابقة ونالت المرتبة الأولى:

نوصي لقمري صابغ الجناح ***** كي فرفر وعلا وراح

وبان معاه الفرح ولاح ***** وقاصد طريق وهران

والتي تعني:

القمري صابغ الجناح = مذكر الحمام الجميل = رمز السلام والجمال

بان معاه الفرح ولاح = ظهور الفرج والفرح

فرفر وعلا = خالد = رمز السلام = علو الهامة والمكانة

الفرج والفرح = العودة إلى تيارت = النجاح في الباكالوريا. (محمد،2019 ، صفحة 63)

* **مشهد حديث "خالد" بالمسرح:** 1سا و30د و7 ثا، يعتلي "خالد" المنصة ويعبر عن مكنوناته بكل حرية وعفوية، متأثرا بسبب طريقة الرجل في الاعتراض على تنظيم المسابقة بالصراخ، حاكيا مأساته وبكل ألم محاولا بعث الأمل يطرح "خالد "سؤال يريد منه التعبير عن رأيه وقناعاته أن الموسيقى ليست دوما أداة للتعبير عن الفرح، ولكنها أيضا لغة الفنان للتعبير عما يحسه من مآسي وأحزان.

وفي معنى تضميني يدعو "خالد" إلى حرية الفعل الثقافي، وعدم خلط الأمور ببعضها، واحترام الاختلافات بين أبناء الوطن الواحد، واحترام طريقة كل إنسان في التعبير عما يشعر به إن كان فرحا أو حزنا. بما يعكس معنى المواطنة الذي ينم من الناحية الثقافية على درجة الوعي بمحددات التراث الثقافي المشترك للمجتمع الواحد أين يبرز سعي الأفراد للمحافظة على مكاسبهم في إطار الهوية الثقافية المشتركة التي تجمعهم...والقائمة على احترام وتعزيز الحقوق ذات البعد الإنساني.(زعبي، 2020، الصفحة39)

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

وبالإضافة إلى قيمة الحرية، حمل المشهد قيمة **الولاء والانتماء** باعتبارها تلك الرابطة التي تجمع المواطن بوطنه، وهذه الرابطة لا تقتصر على مجرد الشعور بالانتماء؛ بل تتعدى ذلك وتتجلى في الارتباط الوجداني وشعور كل مواطن بأنه مكلف بخدمة وطنه والعمل على تنميته والرفع من شأنه وحمايته، وحماية كل مقوماته الثقافية والدينية، واحترام القوانين المنظمة لعلاقات المواطنين فيما بينهم وأداء الواجبات. (مهنة،2020 ، صفحة 384) وتجسدت في الرد على الرجل المعترض على تنظيم المسابقة الذي تساءل غاضبا عن من يتحدث على المسرح يجيب "خالد" بنبرة حملت معاني الوجع على حال الوطن والفخر والاعتزاز بالانتماء للجزائر: "جزايري كيما نتا سي محمد."

كما تضمن المشهد قيمة **التكافل الاجتماعي** بدعوة "خالد" للتعاون بين أبناء الوطن الواحد، وإبراز الحاجة للتضامن والتعاطف ولنبذ الفرقة والتشتت حماية للوحدة المجتمعية والوطنية، ودعوة ما وصفه مخرج الفيلم "رسالة النهاية ونتيجة تجربة معاشة مضمونها أن كل شيء يهون في سبيل الوطن ورغم ما عانيناه لابد أن نصفح ونعفو لنستعيد عافيتنا مع بعض" (زروقي ن، 2022). وتحمل هذه الرسالة المعاني السامية لمبادئ قيم المواطنة التي تعني الانتظام العام في المجتمع وفق مبدأ أخلاقي ضمن نسيج مجتمعي متماسك قائم على التعاون والمحبة واحترام الرأي الآخر ووجهة نظره إن لم تمس القيم وسيادة الوطن.(مولى، 2018، صفحة870) ويظهر ذلك جليا في السيناريو في كلام "خالد":

"كلنا جزايريين يا سي محمد، قاع رانا رجلينا فالنار..."

"إذا كان الأب تاعي مات فأنت راك بي، وإذا كانوا خاوتي ماتو، أنتوما كامل خاوتي تواسوني وداووني وتلزوني ليكم.."

"هوما هكذا يحبو يشوفونا مختلفين ومدابزين..."

يجيب خالد رافضا مستنكرا:....."نديرولهم رايهم.....؟

كما تحمل كلمات "خالد" دلالات ضمنية **بحب الوطن** كقيمة جوهرية تشير إلى البعد الوجداني للقيمة... فهو دلالة للتمسك والتوحد ومظهر من أهم مظاهر المواطنة ومن عوامل قوتها، فحب الوطن هو حب عطاء ووفاء، حب تسامح وإيثار من أجل التماسك والترابط، والقوة والعمل المثمر من أجل الحياة الكريمة لكل من الفرد والمجتمع.(بلعسلة،2017، الصفحات24 –25)

2– قيمة المسؤولية والتكافل الاجتماعي: تعني أن يكون المواطن مشاركا في الأعمال المجتمعية والتي من أبرزها الأعمال التطوعية.(مولى، 2018، صفحة 870) وهي نظام أخلاقي يقوم على الحب والإيثار ولا يقتصر على حفظ حقوق الإنسان المادية، بل يشمل أيضا المعنوية؛ وغايته التوفيق بين مصلحة المجتمع ومصلحة الفرد، وتجلت هذه القيمة في فيلم المحنة من خلال المشاهد التالية:

***مشهد تحدث "حكيم" مع خالد في السيارة بعد تبرئته من شبهة الإرهاب:** يبدأ المشهد في الدقيقة الـ54 و4 ثا، يظهر خالد داخل سيارة الدرك الوطني مستسلما يائسا، يصعد حكيم إلى جانبه، يعتذر منه ويشرح له سبب الاشتباه به والتحقيق معه بقسوة وذلك بسبب "صعوبة العمل الذي كان ملقى على عاتق هذه الشريحة من الجزائريين واستحالة التمييز بين الإرهابي والمواطن". (زروقي ن، 2022)

إن بصيص الأمل الذي أراد المخرج إيصاله في المشهد الذي اعتبره نقطة انحراف في السيناريو، إنما مكمنه في دلالات ومعاني موقف "حكيم" الذي كانت مهمته ومسؤوليته المهنية كرجل درك تنتهي عند انتهاء التحقيق مع خالد وتبرئته من شبهة الإرهاب لكن إحساسه بالمسؤولية وتعاطفه مع "خالد" والخوف عليه من حالة اليأس والإحباط المسيطرة عليه جعله يقرر طوعا أن يتكفل به فيعرض "حكيم" على "خالد" مرافقته والإقامة ببيته في وهران بعد أن أبلغه "خالد" بأنه لا يستطيع العودة إلى تيارت للعيش في منزله بعد المجزرة التي ارتكبت فيه بحق أفراد أسرته.

يقدم "حكيم" المساعدة دون معرفة مسبقة بخالد، فقط من أجل مد يد العون، وضمان الأمن والطمأنينة لهذا الأخير."فحكيم" القائد الدركي إنسان حكيم كما

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

يدل عليه اسمه، ولديه حس المسؤولية الاجتماعية اتجاه أبناء وطنه فذلك ما تعكسه وظيفته كدركي، يسعى لتثبيت الأمن والاستقرار والطمأنينة داخل المجتمع.

***مشهد أخذ "حكيم" "خالد لبيته:** عند بداية المشهد في الدقيقة الـ 57 و4 ثا، ومع بداية اللقطة الثانية وولوج "خالد" بيت "حكيم" بوهران، يخبره هذا الأخير بأن البيت تحت تصرفه، وأنه سيوصي عليه البقال الموجود بالقرب من البيت، وأنه سيوفر له كل ما يحتاج إليه وهنا يتساءل "خالد" عن سر اهتمام "حكيم" وهنا تبدأ العلاقة الجديدة بين حكيم المواطن وخالد في التبلور بعد اكتشاف أن حكيم أيضا ضحية إرهاب وفقد عائلته ما شكل نقطة التقاء وجوابا للسؤال: لماذا أخذه معه الى بيته.

يجسد المشهد رؤية المخرج أن "السينما فن يهتم في المقام الأول بالشكل الخارجي الذي يضمن الاستمتاع والفرجة، ثم في المقام الثاني بالمضمون الذي يكتسب معناه وقيمته من العناصر الجمالية والاستعراضية والعاطفية التي يمكن من خلالها التأثير على المشاهد لتأطيره وتوجيهه للقيم المنشودة" (زروقي ن ، 2022)

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

وتظهر قيمة التكافل الاجتماعي هنا من خلال تركيز المخرج على قوة الكلمات ونجاحه في توظيف السيناريو، والمؤثرات الموسيقية المصاحبة، والمتمثلة في الموسيقى الحزينة والشاعرية في نفس الوقت. "فحكيم" يتقاسم مع "خالد" نفس

الآلام ونفس الجراح، فهو الآخر ضحية يعاني في صمت من ويلات الإرهاب الغاشم. فرجل الأمن ليس بمنأى عن خطر الإرهاب، وأن قيم التكافل ليست حكرا على المدنيين حسب ما يراه مخرج الفيلم. وتصل درجة التكافل والعون بطلب "حكيم" من "خالد" أن لا يكون كالأخ له بل أن يكون أخا له: "...من اليوم ورايح غادي تولي خويا الصغير، نطلب منك حاجة وحدة برك ديرني خوك لكبير وتتكل عليا..."، ويرد "خالد" بالموافقة. وكأن "حكيم" يعبر عن حاجته هو لهذه الأخوة حاجة عطاء بنفس حاجة "خالد" لها حاجة رعاية واحتواء ، وطبعا الأخوة من أعظم القيم الإنسانية إذا كانت طبيعية، فما بالك بالأخوة في الوطن، القائمة على التكافل مع الآخر، وتحمل المسؤولية اتجاهه.

* **مشهد مرافقة "حكيم" لخالد في الجولة السياحية بوهران:** يستعرض المخرج في هذا المشهد في 1ساو22دو3ثا، جمال مدينة وهران ومن خلالها ما عبر عنه "جمال بلادي"، ويظهر استمرار "حكيم" الأخ في مد يد العون إلى "خالد" والذي لم يتوقف عند الشق المادي بل تعداه للشق النفسي والمعنوي، فحكيم

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

يحاول قدر الإمكان إخراج "خالد" من حالته النفسية المتدهورة، وإعطائه دفعا وقوة للمضي قدما في الحياة. وقد تجلى ذلك من خلال مرافقته في جولة سياحية بمدينة وهران ركز فيها المخرج على صور البحر بأفقه الواسع والممتد، وأيضا صور المدينة الهادئة والساكنة رغم حركيتها، مرفقة بموسيقى حيوية من طابع الراي الوهراني، ليختتم المخرج المشهد بصور دخول "خالد" و"حكيم" لمحل بيع الألبسة، ليشتري له هذا الأخير بدلة يحضر بها الحفل الذي دعته إليه "أحلام". بما يدل على درجة حرص واهتمام "حكيم" بمختلف التفاصيل التي من شأنها تغيير الحالة الشعورية والنفسية عند "خالد" للأفضل.

* **مشهد مرافقة "حكيم" لخالد لمدينة تيارت لاجتياز شهادة البكالوريا:** يواصل "حكيم" الإنسان والدركي– الرمز للدولة المسؤولة عن مواطنيها والداعمة لهم في الظروف القاهرة– واجبه وجميله اتجاه "خالد" وذلك في بداية المشهد: 1ساو33د و4ثا، حيث يصطحبه معه بسيارته لتيارت لاجتياز شهادة البكالوريا.

يصور المخرج حس الأمان الذي يوفره "حكيم" لخالد وكذا روح المسؤولية اتجاهه، من خلال تقديمه في صورة "الشخصية الجزائرية المسؤولة، التي أعطت عهدا لخالد وذهبت معه إلى أقصى ما يمكن، ولم تتخلى عنه في الطريق إلى غاية بلوغه بر الأمان... وهذه من أهم خصال الرجل الجزائري الأصيل". (زروقي ن، 2022)

ويبين المشهد المعنى الحقيقي للمواطنة باعتبارها شعور وإحساس قيمي جمعي وكل إسهام يخدم الوطن ويترتب عليه مصالح دينية أو دنيوية كتقوية أواصر المجتمع وتقديم النصيحة للمواطنين.(مولى، 2018، صفحة 870) "فحكيم" ورغم كل المسؤوليات الملقاة على عاتقه بحكم وظيفته– قائد فرقة للدرك الوطني– استمر في بذل الكثير من الجهد والوقت من أجل أن يستعيد "خالد" عافيته، واستمر في نصحه وتشجيعه والاصرار عليه من أجل العودة إلى مقاعد الدراسة واجتياز امتحان شهادة البكالوريا.

3– قيمة الولاء والانتماء: هي القيم التي تجعل الفرد يتفانى في خدمة وطنه، بل ويضحي بنفسه في سبيل ذلك إن اقتضت الضرورة".(لادمي،2019، ص82). وقد برزت في الفيلم في المشاهد التالية:

***مشهد "حكيم" مع "خالد" في بيته وتأكيده على الاستمرار في أداء واجبه رغم فقدان أفراد أسرته:** يبين المخرج في هذا المشهد بداية الدقيقة الـ57و4ثا، أن "حكيم" الدركي وفي مقابل الدفاع عن الوطن والولاء له دفع الثمن بأغلى ما يملك، حيث راح يسرد على خالد كيف اغتال الإرهاب بوحشية وهمجية زوجته وابنته مستحضرا بالتفصيل المشاهد الدموية بزوايا البيت ومعها عمق الجراح والآلام بداخله.

المخرج هنا يقدم "حكيم" كقدوة لخالد، وكأيقونة للمواطن المسؤول الفذ الشجاع، الذي لا يعيش حس المواطنة من خلال حقوقه فقط،

ولكن من خلال أداء واجباته أيضا في مختلف الظروف والمواقف؛ بعد أن ينتهي من سرد مأساته يركز المخرج عدسته على وجه "حكيم" الذي يظهر بتعابير ونظرة تحمل معاني التحدي، القوة، والإصرار على الاستمرار في أداء واجبه رغم مرارة وقسوة ما تعرض له، فهو يدرك جيدا أن هدف الجماعات الإرهابية بقتل أسرهم، هو كسر عزيمتهم ودفعهم للتخلي عن ممارسة واجبهم، ولن يجعلهم ينجحوا في تحقيق أهدافهم، ويواصل حكيم في مهنته واضعا حياته فداء لاستعادة الأمن والاستقرار لوطنه وأبناء وطنه، مجسدا قيم المواطنة كما يعرفها "جمال الدين إبراهيم محمود": "مجموعة القيم والمبادئ والاتجاهات التي تؤثر في

شخصية الفرد فتجعله إيجابيا يدرك ماله من حقوق وما عليه من واجبات في الوطن الذي يعيش فيه، وقادرا على التفكير السليم في المواقف المختلفة".(لادمي،2019، الصفحات81- 82)

***مشهد تكسير المرآة وحديث "حكيم" عن الواجب نحو الوطن من خلال تحقيق الذات وقيمة المسؤولية اتجاه نحو الوطن:** يصور المشهد بداية من1ساو8دو17ثا، "خالد" وهو

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

يحاول نحت تحفة بيده وصور أفراد أسرته (الأم، الأب، الأخت، والأخ الصغير) تمر أمام عينيه وهم مخضبين بدمائهم وكأنهم ينظرون إليه نظرة عتاب، فيقف صارخا ملئ صوته، وبأقصى ما أوتي من قوة يقدم على كسر المرآة مستعملا التحفة التي نحتها في صورة مماثلة لتلك التي قدمتها "أحلام" في معرضها، التحفة التي تصور القهر واليأس والألم. ثم يسقط أرضا باكيا خائر القوى، مطأطأ رأسه.

يدخل "حكيم" البيت ويهرع لخالد يرفعه من على الأرض ويحثه على عدم الانحاء والانكسار لأن هذا ما يسعى إليه الإرهاب وأن انتقامه لما حل به وبأسرته وبوطنه يكون فقط بالاتجاه نحو النجاح وتحقيق الذات وبنجاحه هو وأقرانه والوصول إلى أعلى المراتب، لأن ذلك يمثل انتصارا للذات وللبلد وهزيمة فكرية للإرهاب الذي لا يهمه سوى رؤيتنا منكسرين ومحبطين.

يصف المخرج المشهد بأنه :"مشهد الذروة في الفيلم حيث يستغل "حكيم" الحالة النفسية التي كان فيها "خالد" ليزرع فيه الروح القتالية ليثأر لعائلته ويعيد وضعه على السكة الصحيحة لبقية حياته". (زروقي ن، 2022)

"حكيم" :"راك عارف "خالد" ذوك الناس لقتلو عايلتك وعايلتي ماهموش طالبين أكثر من الشي لراك دير فيه...ونحطو رسانا في الارض نحطو راسنا كيما حطيت انت راسك خالد..إلا بغيت تنتقم منهم تخلف تار بوك امك خوتك ادخل للباك جيبه ادخل للجامعة وانجح فحياتك كونك حاجة كبيرة... خالد دير حاجة فبالك بلي كتنجح انت ونتاجك تنجح لبلاد معاكم..."

لقد تضمنت الكلمات الحافز والدافع القوي لخالد للعودة إلى تيارت واجتياز امتحان الباكالوريا، إنه الوطن والاحساس بالمسؤولية اتجاهه والتضحية من أجله بوجع الذات لمداواة وجع الوطن. ويختتم المخرج المشهد بتصوير "خالد" يستحم مسترجعا كلام "حكيم"، فقد كان استحضار قيمة الوطن ونجاح البلاد والنهوض بها الدافع الرئيس "لخالد" للتغلب على أحزانه ومآسيه وهو مشهد ملئ بالرمزية، فكما يزيل الماء الأوساخ والشوائب عن الجسم، ها هو يزيل الإحباط واليأس عن "خالد" ويجعله يعقد العزم النجاح، حبا ووفاء وولاء لوطنه. وتضمن المشهد رسالة مخرج الفيلم لخالد: "لا تترك عدوك يصل إلى مبتغاه وافعل عكس ما يريد، فغاية من خطط لهذا الأمر كانت كسر عزيمة الجزائر، وأحسن رد هو تشييدها وبعثها من تحت الرماد".

المصدر: https://www.youtube.com/watch?v=AV04JZYs70k

خاتمة:

لقد أبان تحليل فيلم "المحنة" عن الدور الهام والفاعل لسينما العشرية السوداء في تشكيل وترسيخ ثقافة وقيم المواطنة، والتأكيد على دور هذا النوع من الأفلام في نشر الوعي بقضايا الوطن والمواطن في الماضي والحاضر وأيضا برؤية مستقبلية، سواء عبروا عن ذلك بشكل صريح أو ضمني وذلك من منطلق إدراك رواد هاذ الاتجاه السينمائي –الذين أبانوا بدورهم عن حس عال ووعي بقيم المواطنة– لأهمية الفيلم السينمائي في التعبير عن قضايا وهموم المجتمع مهما كانت طبيعتها.

وعليه على السينما الجزائرية تسليط مزيد من الضوء ودعم أكبر للأفلام التي تناولت هذه المرحلة وضربت المثل عن المواطن القادر على إنكار ذاته من أجل وطنه بالترويج لقيم الولاء، الحب، الانتماء، التكافل الاجتماعي، والالتزام بالواجب اتجاه الذات والآخرين حتى في أحلك وأقسى الظروف والتضحية بالنفيس والنفيس لأجل الوطن، وخاصة في ظل الظروف والأزمات كما هو حال البلاد اليوم الذي

يستدعي تكاثف كل الفاعلين في الميدان السينمائي من أجل توظيف السينما في تنشئة مواطن صالح واع لواجباته اتجاه وطنه جنبا إلى جنب مع المطالبة بحقوقه وفق ما تقتضيه المصلحة العليا للوطن.

الإحالات وقائمة المراجع:

1- (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 10 3، 2020، من https://political-encyclopedia.org/ -.
(بلا تاريخ).

2- جان الكسان. (1982). *السينما في الوطن العربي*. (المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، المحرر) الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

3- حسان حضري، عمار زعبي. (2020). المواطنة في التشريع الجزائري "أبعاد المفهوم وإشكالات تطبيقه". *مجلة القانون والمجتمع، 6*(2)

4- ساكر صباح، صبيات نصيرة. (2022). *التوجهات الجديدة للسينما الثورية الجزائرية – قراءة ضمنية لأفلام "زبانة الوهراني ولطفي"* . (فرقة البحث الجامعية حرب التحرير الوطني والسينما الجزائرية المغامرة، المحرر) ألفا للوثائق والنشر.

5- سامر مؤيد عبد اللطيف. (2011). المواطنة وإشكاليتها في ظل الدولة الإسلامية. *مجلة الفرات*(7)

6- سماعين محمد. (2019). صورة الفنان في السينما الجزائرية – فيلم المحنة أنموذجا مقاربة سيميائية. *مجلة آفاق سينمائية، 6*(1)، صفحة 63.

7- شرف الدين بن دويه. (2013). المواطنة "مفهوم وتاريخ". *مجلة الدراسات والبحوث*

8- شفيقة جوباني. (2009). صورة الجزائر في السينما – دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الأفلام المنتجة بين 1990 و 2007. (جامعة الجزائر، المحرر)

9- صبا حسين مولى. (2018). المواطنة وأثرها في ترسيخ القيم الوطنية في المجتمع العراقي. *Route Educational and Social Science Journal، 5*(7)

10- عبد الغني إرشن. (2022). *الثورة التحريرية في السينما الثورية الجزائرية بين الواقع وتجليات*. (فرقة البحث الجامعي حرب التحرير الوطني في السينما الجزائرية المغامرة ، المحرر) ألفا للوثائق والنشر.

11- عبد الكريم قادري. (29 10، 2014). *سينما العشرية السوداء: اللجوء إلى سردية المرأة*. تاريخ الاسترداد 10 مارس 2020، من http://www.alaraby.co.uk/culture

12- فتيحة بلعسلة. (2017). دور المدرسة الجزائرية في تنشئة الفرد على قيم المواطنة – قراءة تحليلية لبعض الدراسات. (الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المحرر) *مجلة أمارابك، 8*(25)

13- قرقابو سعاد. (2018). ترسيخ وتغيير قيم المجتمع الجزائري من خلال السينما الجزائرية. *Route Educational and social science journal، 9*(05).

14- كريمة منصور. (2012). اتجاهات السينما الجزائرية في الألفية الثالثة. 73. جامعة وهران.

15- كمال حسين أدهم. (دس). مفهوم المواطنة وآليات تعزيزها. *دراسات إقليمية، 5*(13)

16- محمد عربي لادمي. (2019). المواطنة كخاصية مميزة للدولة الوطنية "دراسة تحليلية للمواطنة في أبعادها وقيمها". *مجلة آفاق علمية، 11*(3)

17- نصيرة مهنة. (2020). حقوق المواطنة في الجزائر. *مجلة الدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، 3*(10)

18- نفيسة نايلي. (2012). صورة المرأة من خلال السينما المغاربية – دراسة تحليلية نصية لعينة من الأفلام الجزائرية التونسية والمغربية في الفترة من 2005 إلى 2009. جامعة الجزائر 3.

19- نور الدين زروقي. (18 أفريل، 2022). (بوعنان أسماء، خلالفة زينب، المحاور)

20- Achour Cheurfi .(2013) .*Dictionnaire duCinéma Algérienne et des Films étranger sur l'Algérie* .Alger: Casbah Edition

---

* مخرج سينمائي جزائري وعضو بالمركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان، من مواليد مدينة تيارت 1975 من أهم أعماله، الفيلم القصير" ذكاء غبي"2001"،شريط وثائقي حول الشهيد علي معاشي سنة 2003، وأخرج فيلم"سينابس"synapse" 2018 والذي شارك به في مهرجانات دولية في المغرب ومصر والمانيا وهولندا وسويسرا و موريتانيا وحصل الفيلم على جائزة أفضل فيلم في المسابقة الدولية للفيلم القصير بمهرجان الفيلم القصير بنواكشوط موريتانيا 2019 ، وعلى جائزة أحسن إخراج بمهرجان ميزوبوتامي mesopotamie بلاهاي هولندا 2020.

† الحدث الرهيب الذي ألم بصديقي وجاري "ص" الذي كان غائبا عن البيت ليلة دخل الإرهابيون وقتلوا كل أفراد عائلته، أتذكر تلك الصدمة التي ألمت بسكان مدينة تيارت، فالمشاهد التي رأيناها قبل وصول رجال الأمن والحماية المدنية،كانت فظيعة ولا يمكن وصفها، كنا ننتظر صديقنا "ص" فقد سمعنا أنه غير موجود بين المغدورين في البيت، وفي الصباح الباكر عاد وأتذكر جيدا ملامح وجهه حين وصل ورأى رجال الحماية المدنية يحملون أفراد عائلته ملفوفين في أغطية بيضاء ملطخة بالدماء، وعلامات الصدمة بادية على وجهه الأبيض، سقط سقوطا حرا على الأرض...ينظر إلى لا شيء غير مستوعب ما حدث لا يسمع الجيران وهم يحاولون التخفيف من روعه ،هذه الصورة أثرت في نفسي بشكل عجيب ،وملامح وجه صديقي الذي تحول إلى شخص آخر لم تفارقني شهور، والسؤال الذي تبادر إلى ذهني هو كيف له أن يستمر في العيش بعد هذا التغير الجذري في حياته؟.. وجوابا على هذا السؤال قام سيناريست الفيلم السيد "عبد الحليم زروقي" بتخيل بقية الأحداث التي يستدعيها البناء الدرامي لكل فيلم.

‡ لمزيد من التفاصيل أنظر المقالات التالية:

- المحنة" قراءة لمرحلة قاسية من تاريخنا 120. دقيقة تشخص الجريمة وتصور الأمل، نشر في جريدة المساء يوم 21 - 02 - 2010
- نصيرة سيد علي: فيلم "المحنة" يروي التراجيديا التي صنعها الإرهاب في الجزائر، نشر في الحوار يوم 23-12- 2008.
- عصام بوربيع: المحنة يصور جحيم الارهاب والانتصار على الانتقام، نشر في الخبر يوم 1-12- 2007
- في اطار الدورة الخامسة لبانوراما السينما الجزائرية فيلم المحنة يعرض بفرنسا، نشر في أخبار اليوم السبت 29-01-2011 الصفحة 21.

-Djamel Benachour : AVANT-PREMIERE DU FILM L EOREUVE A ORAN Une Jeunesse de Tiaret forcant le respect, ELWATAN lundi10mars2008, page19